

ومطلعها:

الموت أعرب في أصح مساق إن المنية شمّرت عن ساق
وهي طويلة أورد منها ابن بسام أكثر من عشرين بيتاً.

٤. الزهد والتصوف:

المراد بالزهد لغة: الرغبة عن الشيء، خصص بما يكون الرغبة فيه عن الدنيا وفي الاصطلاح: ترك المباح المحبوب المقدر عليه لأجل الله فتارك المحظورات لا يسمى زاهداً، وتارك ما لا يؤبه به لا يسمى زاهداً، وتركه على سبيل السخاء والفتوة واستمالة القلوب في الثناء، لا يكون زاهداً، إذ الذكر والثناء وميل القلوب، أذ وأحب من المال، ومن ترك ما لا يقدر عليه لا يكون زاهداً.

ودراسة الزهد والتصوف في الأندلس ترتبط بأصولها الأولى في المشرق، على نحو ما يتصل الفكر الأندلسي بجملته، بأخيه المشرقي فدراسة الزهد والتصوف لا تكون بمعزل عن تياراته في المشرق.

اختلف الدارسون في أصل مفهوم "التصوف" فمنهم من رأى أنه من الصفاء والصفو، لصفاء علاقاتهم بالله وصفو قلوبهم، وقيل من الصفة وأهلها زهاد المهاجرين والأنصار، في المسجد النبوي وإن كانت النسبة إليهم تأتي على "الصّفي" وقيل إنها من الصف الأول لصلاتهم فيه أو الصفة لاتصافهم بالأخلاق الحميدة ومن الكلمة اليونانية "صوفيا" وتعني الحكمة والأرجح أن التصوف مصدر الفعل الخماسي تصوف، الذي هو من الصوف.

ويتشابه مفهوم الزهد والتصوف أحياناً، ويأتي التصوف مرحلة تالية للزهد في أحيان أخرى، ويتجلى الفرق بينهما في بعد زمني ومن ذلك يقول ابن خلدون: "وقد كان ذلك (الزهد) فاشياً في الصحابة والسلف ولما عمّ الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية أو المتصوفة ويرى أحد الباحثين أن التصوف أسمى درجات الزهد، وهو الزهد في أسمى درجاته".^٤

إن التصوف الإسلامي نتاج تلاقح من فصل عن كل العوامل الدينية والفلسفية الأجنبية والاتفاق الحاصل بين عقيدتين لا يعني أن إحداها أخذت من الأخرى بل

١ الذخيرة، ٦٦/٢/١، ٦٨.

* ينظر الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي ١٤٥ وما بعدها. كذلك دائرة المعارف الإسلامية (مادة تصوف). نشأة التصوف الإسلامي، ص ٩. الحياة الروحية في الإسلام، ٨٥. ٩١. تاريخ التصوف في الإسلام، ٢٦٩/١. ٢٨٦.

٢ لسان العرب، مادة "زهد".

٣ مقدمة ابن خلدون، ١٠٦٣/٣.

٤ مظاهر الشعوبية، د. نبيه حجاب، ص ٤٣.